إشراقة الموت الأول

قصص

السيد حنفى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
أقليم القناة وسيناء الثقافى
فرع ثقافة السويس

إشراقة الموت الأول
السيد حنفى
الناشر : فرع ثقافة السويس
تصميم الغلا ف : أسامة جمال الدين
الطبعة الأولى : فبراير ٢٠٠٠

التنفيذ والإخراج الفنى

بدايه للطباعة والنشر

السويس – الأربعين – ش صدقى ت : ٢٢٤٣٤٦

إليك أنت

وأتحداك

مادمت قد ضممت

جناحيك على رؤوسنا

السيد



علـى سبيـل الاستهـلال

وماذا لوجئتك و لم أجدك .. أو حان دورى فى العرض عليك ، وسئلتنى عن أوراق هويتى ،، التى تعرفها ،، ولا أعرفها .!!

ثمة إختلاف جوهرى ما بين انفعال الشبق الروحى لمغازلة ظلام الليل ، وبين إنسيال خيوط الفجر على كف الصغير .. !!

أتراك نثرت فضلك يوماً على طفل يقتات من وهم الموائد .. !!

كثيرة هى الألوان ..أتراها معى ..لون أحمر قاتم .. لون اللحم الطازج ، ولون بلا لون .. رائحة العرب ، ولا لون يتخذ لوناً .. سفالة صهيونية .. سيدى هل تستطيع أن تخرج ألامى ..!!

تتوحد الأشياء فى شئ واحد .. أنت واحد ، و أنا

واحد ، وهم واحد ، وهن واحد ، .. إن لم تسطيع الفصل فابتر .. وان لم تستطيع القطع فاقتل .. وبعد ...

سيكون هناك دائماً شئ واحد يجمع كل الأشياء .. لتكتمل دائرة أنت فيها الإرتكاز ، و أنا محورها .. هم يتحدون بى ، وأنا أتحدىهن .. ألا تعتقد أننا نعيش فى وهم مطلق !!

ربما لا تشبـهينها .. لكن ثمة تشابه بـين وجـهك وذلك الوجه الشقى الذى أنتظر رؤياه .

نهضت راحله .. أدار ظهره للجدار الفاصل بين الليل و الظلام ، أخذ يتأمل البدر الآفل فى شرود .

من داخل الغار الذى يتوسط الجبل أنطلق صوتا ينذر المألوف الذى يصفق بحماس فى آخر الحياة .

نهض متـرنحـاً ، اتخـذ طريقـا مـا بين سـجـع الكهـان وترانيم زرادشت .. جدفى السير ، لم يبلغ الجنة.

تقول النبؤة : أنه سيتقابل مع قدره وسيـهزمـه .. لكنه لم يعلم أبداً .. من سيهزم من ؟!!

حين تقابلا فى آخر الزمان قال لها بصعوبة : قد كنت أحبك حقاً .. سمعته أيضاً بصعوبه ، أجتاح وجهها حياء فتايات الخدر ، ودب الخضار فى عودها فانطلقت تمرح

بين جنبات الوادى ، إختارت أجمل الزهور ووقفت بين زراعيه تبتسم .. ظل يسقط .. ويسقط .. حتى تلاشى .

يقول العالمون بالأمور : أنه حين مات لم تنطلق روحه رأسيا إلى السماء ، وإنما إتخذت طريقا أفقيا قريبا جداً من مستوى الأرض و اخترقت بطن إمرأة غانية ، وحين أحست المرأة بالألم تبولته بعد تسع دقائق .

وتركته فى حالة من العفن الشديد ، وبعد برهة إنتفض وقد نبت له جسد بلا أوصال ، ورأس ليس بها سوى شفتين كبيرتين جداً ، وكلما أراد أن يتكلم أحدثت شفتاه صوتاً كصفيق الأيدى .. أما صوته فقد سقط من سروال المرأة الغانية فى الغار الذى يتوسط الجبل ، وكان جسده ينمو كثيراً حتى صار أعلى من ديار البلدة ، وبعد أن مات أهل القرية .. ظل هو يصفق بشفتيه .. بينما يتوعده صوته القادم من داخل الغار .

إشراقة الموت الأول

كانت تتعثر فى خطواتها حتى توقفت قبالتى ..

تحسست بطنها .. قالت بضجر :

– متى تنبت تلك الأرض الجرداء ؟؟

قلت و أناملىتعبث بأصدافى :

– حين تجد الجبال أرضاً تستقر عليها ... !!

– قد مللت هذا الحديث ، وقد مللت تلك الأرض .. وقد مللتك أيضا .. نكست رأسى وغمغمت

– فكى أصفادى ..

– أين تريد أن تذهب .. ؟

– لا أرض لك ، لا أبناء ، لا يوجد سوأى .. وأنا .. آه يا أنا ....

نهضت تولول وتطلق صراخها .. نظرت إلى السماء .. كانت الجبال تسبح فى غير مدار .. وأنا .. مكبل الجسد ،

ملقى بجوار النهر العتيق ، جلست جوارى مرت بكفيها على وجهى ، قالت وهى تمسح دموعها :

– ماذا أتى بك ... ؟

– وددت لو أنبت فى أرضك من يرعاك .

– قد جف ماؤك ...

نظرت إلى حافة النهر البعيد ، شردت وقالت كأنها تهذى :

– بالأمس زارنى الشيخ وأمرأته المنتقبة .. أشارا نحوى ومضيا ، نهضت مسلوبة الأرادة وتبعتهما ، كان الطريق ضيق على يمينه بحيرة واسعة مليئة برؤوس الغرقى ، وعلى السيار شواهد قبور متناثرة ، وكان القمر منتصفاً ، و الرياح لها صوت العواء ، و الغرقى يحاولون جذبى إليهم .. إلتفت الشيخ نحوى وأعطانى جعراناً وقال (هذا نبتى) .. إلتفتت نحوى المرأة وخلعت نقابها ، وبدا وجهها جمجمة بشعة ، فزعت منها ، وجريت فى طريق العودة ، أطبق كفى على جرعان الشيخ ، أتخطى بصعوبة أيدى الغرقى ، وأغض طرفى عن شواهد القبور .. حتى سدت كل الطرق أمامى ، و المرأة الجمجمة تعدو خلفى ، و

الشيخ يقف مقهقهها من فزعى ، إقتربت منى المرآة ..
قذفتها بالجرعان .. شق رأسها .. سقطت فى البحيرة ..
هلل الغرقى .. وسقط الجعران فى الماء فصمت كل شئ .

تأملت بشرتها الصفراء ، وغضضت البصر عن شعرها الثائر .. تمتمت :

– الشيخ كان يريد قتلك ..

– كان سينبت بداخلى زهرة ..

– بلون الدم .

– بلون العشق .

صمتت برهة و كأنها تستجمع شجاعتها لتتخذ قراراً، ثم قالت بهدوء :

– أنا ذاهبة إلى الشيخ ..

– فكى أصفادى

قالت بلا مبالاة :

– قد فككت عنك أصفادك .

تمتمت : سيقتلك ..

لم تبال بالرد ، وذهبت .. تبعتها حتى دلفت من البوابة الحجرية .. مخترقة الدهليز الطويل الضيق ثم طرقت باباً

خشبياً ودخلت ، بعد برهة سمعت صراخها ، ثم خرجت من الباب عارية تهرول فى رعب ، أحتويتها فى صدرى .. نظرت إلى الفزع يملؤ عينيها .. أشارت نحو الباب الخشبى وتلعثمت الكلمات فى حلقها أجلستها وخلعت عليها ما بقى لى من ثياب ، أشارت نحو الباب ، وجاهدت لتقول شئ لم أستطيع أن أتبينه ، توجهت نحو الباب ، ودخلت حجرة الشيخ حيث كان جالساً وقبالته إمرأته التى حاولت أن تدارى جمجمتها بثوبها .. تبينت بينهما جسد طفل مهشم الرأس ، نهض الشيخ و إبتسم ، أعطانى كتاباً صغيراً أسود اللون .. تناولته بدون وعى وخرجت إليها .. وجدتها تتوضأ بدم النفاس ، ثم هبت واقفه ، وخطفت منى الكتاب الأسود و أسرعت فى خطاها عائده إلى الشيخ .

سرت على شاطئ النهر العتيق ، تناولت حفنة من طميه ، نظرت إليها ملياً .. سقطت عليها دمعتى .. أنبتت عمراً جافاً ، أطبقت عليه كفى ثم ألقيته إلى المياه .. بصرتها تقترب .. مهدلت الذراعين ، زابلة العينين ، مضطربة الخطى ، أبصرتنى.. تهاوى جسدها يفترش

الأرض .. جلست عند رأسها .. مسحت على شعرها .. نظرت إلى عينى طويلاً .. بكت بشدة .. إستسلمت للنوم .. نمت بجوارها .

تسربت إلى مسامعى نغمات قيثارة وشدو جميل .. فتحت عينى .. كانت تقف على مقربة منى وقد إرتدت ثوباً زجاجياً .. ووضعت فى شعرها زهرة بلون العشق .. ممسكة بقيثارة وترتل آيات الهوى .. نظرت إلى أعلى .. إسترسلت نظراتى إلى ما لا نهاية .. لا شئ هنا يرد البصر مهزوما .. ربتت على كتفى وقالت :

- إنظر لأسفل .

حيث أشارت كان النهر العتيق قد جف ماؤه ، وقد نبتت فى جوفه تماثيل عملاقة ، و القوم يدورون حولها مرتلين ، و البعض يذبح أبناءه تحت أقدامها ، و على الشاطئ رأيت جسدى مقطع الأوصال .. وجسدها مفصول الرأس .. سألتها :

- ما لهذين الجسدين ..

طأطأت رأسها بإنكسار وقالت بصوت مهزوم :

- إنها ليست أرضنا .. قد نكون ولدنا عليها ،، لكنها أبداً لن تلدنا .

مـراسـم

تاهت نظراتى فى دروب الظلمه .. تحسست الفراغ ..
لم أعثر على شئ .. حاولت الإستناد على عامود الصمت .. تهاويت .. إصطدم رأسى بالظلام .

و الدخان يصاعد من تحت قدمى .. والريح تعوى بين جوانحى .. وهى موقوفه بين السماء و الأرض .. مصلوبة الذراعين .

و الزمان كأنه مخيلة شاعر ، دنوت حتى لامست قدماها رأسى .. المكان كقصيدة مبتورة المعنى .. مددت يدى فككت أسرها .. هبطت ، أرحتها على الأرض .. رجفة من ظل تمر بين يدى .. أتلمسها ..أتراجع مذعوراً حين لمحت قوماً يقبلون يرتدون عمائم سوداء .. حبوت على ركبتى .. إنزلقت يداى .. إختبأت خلف شجرة لا تخبأ شيئاً .. عدوت .. سقطت فى عمق .. إرتطم

جـسـدى.. الظلام يشـتـد .. من أسـفل منى ترتفع
الصـرخـات.. أنزلق جسدى مـحـاولا الأبتعاد .. تتكاثر
الصرخات .. أفرمذعورا .. أعود إليها .. كانت تنظر إليهم
متوسلة .. يحاولون تجريدها .. تصرخ .. فزعة تهرول ..
عدوت خلفها .. دلفنا إلى ذقاق ضيق وخرجنا من فرج فى
نهايته إلى فضاء ممتد .. أجساد الرجال معلقه على
الصلبان .. رجال سود الوجوه يمسكون أسياخ ناريه
يكوون بها الأجساد المعلقة .. رائحة الجلد المحترق تزكم
أنوفنا .. وقفنا برهة ثم جرينا سريعاً .. بدأت قواها تخور
.. خطواتها تضيق .. سقطت على الأرض .. مددت لها
يدى .. بكت على صدرى .. أحاط بنا ذووا العمائم
السوداء .. أخذوها وعلقوها .. فصلوا رأسها .. ملأوا
كأوسهم و أخذوا يترنحون .. إلتقت رأسها و أرحتها على
صدرى .. رأونى ، إقتربوا منى .. بفزع ألقيت لهم الرأس
و أخذت أعدو .. وحين سقطت كانوا يحاصروننى
وأسودت منهم الوجوه.. إرتعبت .. حبوت إلى ركن قصى
.. جلست على شئ .. وجدته يئن .. نظرت إليه كان
رأسها المبتور .. جزعت .. تراجعت .. نهضوا أشهروا

سيوفهم .. قطعوا أوصالى .. بتروا جسدى ، أخذوا
رأسى وعلقوها بين السماء و الأرض .

القوم يقفون على حافة الدائرة التى رسمها بعناية .. متداخلة فيها الألون القاتمة المرسومة على هيئة مثلثات تتجمع رؤسها عند منتصف الدائرة .

قرع شديد للطبول يبعث من أرجاء الفضاء الممتد .. الظلال ترسم خلفيه للمكان مفزعة .. فى منتصف الدائرة ترقد طفلة صغيرة عارية الجسد .. القوم يتمايلون يمينا ..يسارا ببطء ، مجموعة من النغمات الموسيقية تداخل فى غير تنسيق .. تزداد قرعات الطبول يزداد القوم تمايلاً يتقافزون فى الهواء بشدة .. صرخات تنبعث من الحناجر .. وصياح القوم .. رجل أشيب تتدلى لحيته لأسفل صدره .. يمسك عصى .. أعلاه رأس أفعى ..أسفلها ذيل تمساح .. يقترب من الدائرة البشرية .. يطلق صيحة تهتز لها الأرجاء .. يصمت على أثرها كل

شئ .

القوم واقفون ، رؤوسهم تتدلى على صدروهم .. يتجمعون يصنعون طريقا يصل إلى منتصف الدائرة حيث ترقد الطفلة الصغيرة عاريه .. الأشيب يسجد عند أول الطريق المعبد بالبشر .. يرفع رأسه وكفيه حذو منكبيه .. ينهض قائماً على قدم واحدة .. تنطلق فى الهواء بضع زغاريد .. فى اليسار الخلفى نساء يغطين وجوههن و أجسادهن برداء أسود .. تنظرن نحوى وتتهامس .. تظهر أمرأه بوشاح أبيض وعيون سوداء خصلة من شعر الحالك تتدلى على جبهتها .. تحتوينى بعينيها .. الأشيب يزأر .. يهرول ناحيته عملاق أسود .. يركع أمامه .. يخطو الأشيب فوق ظهور القوم اللذين يصنعون الطريق بأجسادهم . يضع قدمه اليمنى على صدر الطفلة العارية. يضغط بقوة .. تنطلق صرخاتها فى الفضاء الذى أصبح أكثر عتمة .. يزأر .. ينهض القوم .. يتحلقون فى دائرة واسعة .. يتقدم العملاق إلى منتصف الدائرة .. يركع أمام الأشيب .. أنظر نحو اليسار الخلفى .. تصطف النساء ، تخلعن النقاب الأسود عن وجوههن فتبدو بضه

.. تنظرن نحوى وتتهامس .. الفتاة ذات الوشاح الأبيض تقبل نحوى . عيناها حوراء وتحتوينى .. الرجال حول الدائرة جلسوا على أياديهم .. العملاق يحمل الطفلة الصغيرة .. الأشيب يتناول سكيناً كان يتدلى من سروال العملاق .. يرشقه فى قلب الطفلة .. يندفع الدم عمودياً . يتصل بالسماء . الأشيب ينظر نحوى .. أشعر بالسقوط إلى الأرض السابعة مع شلل تام لكل وظائفى . ينظر إلى العملاق يحرك رأسه ثلاث مرات إلى اليمين . مرة إلى الشمال . عمود الدم متصل بالسماء يجذب الطفلة لأعلى . تصعد تتابعها الأحداق . تعلو ذغاريد باهتة . تقترب منى الفتاة ذات الوشاح . تطوق عنقى فى عنف . كأنى لوح ثلجى ينصهر فى نيرانها .. أغمض عينى لأحتوى النشوة .. تهمس (أنظر لأعلى) .. أنظر .. الطفلة الصغيرة تكاد تختفى فى ظلمة السماء .. عيناها مثبته على عينى . تبتسم . أفغر فمى دهشة .. تسقط إبتسامتها فى فمى .. تغوص بأعماقى .. يتنصب أمامى الأشيب . و العملاق يهرول نحوى . يحملنى و الفتاة بذراع من حديد . يلقينا فى منتصف الدائرة .. بغير إرادة منى أعض على

أصبعى السبابة .. تدمى .. تأخذه الفتاة بين شفتيها .. تمتصه بشراهة .. كأن روحى تخرج من إصبعى .. تتلذذ بطعم دمائى .. تترك إصبعى وقد ترهل .. تهمس [صار فيك شئ من طفلتى .. وبداخلى الآن شئ منك] .

أنظر حولى .. أختفت حلقة الرجال .. و الرجل الأشيب و العملاق .. تنطلق فى الهواء ذغاريد النساء وتنتظم الموسيقى .

(١)

على جدران مرسمى ترتسم عيناها .. عشقاً تائها .. زهور حب تنبت من حاجبيها .. وجهها يتألق بالأنوار الهلالية .. تناولت فرشاتى .. لامست بها سواد العيون..سألتها :

أتحبين الإبحار .. بعينيك جوهرتان زائغتان هائمتان مررت على جيدها .. همست أحبك ..

ذهبت عيناها إلى بعيد .. بعيد .. حيث اللا حدود .

– أكل هذا الدفء تحمله عيناك ..

الشمس تميل للمغيب وسط لهيب الجانب الغربى ، صوت المجادف وهو يدافع المياه يتضافر مع صوت إرتطام الأمواج .. يصنع إيقاعاً .. تشدو بأغنية عشق .. تنصت لها المياة و الرياح والشمس وكل مشاعرى ، أضمها .. أقبل منها كل ما صادف شفتاى .. يرسو

القارب .. أحملها .. تهمس عيناها :

- لم يحملنى أحد قبلك ..

الليل يقترب من رؤوسنا .. تعدو إلى القارب تدفعه تستدير .. تحتوينى .. أحتويها .. حط الليل ..

(٢)

أرفع وجهها بين كفى .. ألتفت .. كل شئ عندى يحتاج إلى شئ .. أحاول ترتيب بعض اللوحات

آآه أن عنقى يئن من ثقل رأس يحمل عالماً بداخله .. تكاد قدماى أن تنهزما .. أتكئ على منضدة ..

أتكئ بشدة .. تسقط .. أسقط .. تسّاقط من رأسى ذكريات عمر آفل .. أسفارى ، قبلات العذارى

صورة رجل كريه .. ضخم الجثة .. ضخم الثروة .. ضخم كل شئ .. أركله بقدمى .. أبى يوارونه التراب .. خليط من ألوان سيلفادور دالى وروايات فرانز كافكا .. أعيده إلى رأسى .. ثم .. ثم وجه حبيبتى الهلالى .. أحمله بيدى .. أنهض به .. أتعثر فى تاريخ قبيح .. أسقط على تاريخ أقبح .. أتناول وجه حبيبتى .. أضعه فى الذاكرة .. أحاول النهوض .

تقع عيناى عليه .. أهو .. ؟؟

لماذا يرتسم على جدارى .. ؟؟

مـــــددت يدى إلى السطح الأملس .. بطرف أنمل السبابة مررت بخط أفقى .. لمعت أبتسامته .. شفتان رقيقتان .. لامعتان .. أسنان ناصعه متراصه .. علوت بأصبعى .. وضعت نقطتين .. بدت عيناه المشعتان .

أنظر إلى مرآة خلفى .. أتحسس شفتى الضامره .. أسنانى الباقى منها أسود اللون .. عيناى الذابلتان . إلتفت إليه .. قذفته ببالى ثياب .. تثور عاصفة أتربة .. ضباب يملأ مرسمى .. أسعل بشدة .. أهرع إلى فضاء ممتد .. أشياء فى رأسى كالذباب تطن . و أشياء تدق .. تخبط .. زحام .. هراء .. أحاول الإبصار من خلال الأهداب الملتصقة .. صحراء رمالها بلون الفقر .. شمس كحرب البسوس .. نسائم تخطف الأبصار .. تورث العمى .. بالخلف ليل حالك تتطاير فيه الجماجم .. يذيبنى الخوف من الرأس حتى القدم .. باليسار غابات .. مستنقعات .. أزهار بلون الدماء .. أغنية شريدة تتردد على أنغام فريسة ..

تعانقات الأشجار تلقى بظلالها على أنثى الأفاعى .. الحفيف و الفحيح يمتزجان .. يلقيان الرعب فى قلوب الليل الأجوف ..

باليمين كانت تفر بعينيها بعيداً وتتسائل عن سر إضطرابى .

أريد أن أهرب .. أغوص أعماق .. أجوب آفاق .. أتحسس كتفى الأيمن .. مازال دافئا منذ أن غفت عليه بالأمس .. من داخل أمواج تبدأ فى الظهور رأس الرجل الضخم .. ينتزع وجه حبيبتى من على جدارى .. تهتز .. يسقط قلبها اللهلالى .. أحتضنه .. أنزوى .. الرجل يبتسم .. تنزلق دمعه من عينيه .. تسقط على القلب الهلالى .. تعلو نبضاته .. أحمله إلى شفتى .. أقبله .. يرتمى على ذراعى الأيمن .. يهمس لفظة حب .. أوصد عليه أحضانى .. أنظر إليها .. تضطرب .. تمد لى يديها تريد قلبها .. أهمس : سأرعاه لك .

تستسلم بين أحضان الرجل .. يسير بها .. ألتفت إلى مرآتى .. أنظر ألى شحوب وجهى .. أنزع الوجه العالق على الجدران .. ألقيه بعيداً .. أضع مكانه قلبها ووجهى .. فى المرآة القلب يتراقص نشواناً وجهى باسم على الأرض نظرات حزينة تنبسق من وجهى القديم الذى سرعان ما علته الأتربة .

(٣)

بكلتا يدى أخذت أمسح طفيلات عالقة بوجهى .. أضع رأسى تحت المياة .. المياة الباردة تأخذ ما فى رأسى وتسيل على أرض خصبة .. تنبت زهرة بلون العشق ..

– سأهديها زهرتى

هرعت .. قفزت فى أنهار الخوف .. راجعت أرمانى أبحث عنها .. بين أحجار قبور هرمية مقدسة رغم أنوفنا .. بين رافات بالية وأوراق متهالكة ، و أصنام متعالية .. تاريخ عفن نقدسة لنتكئ عليه .. طويته بعنف .. هرعت إلى زمن الألوان الزاهية .. رسوم هندسية زاعقة الألوان .. خطوط مستقيمة .. متداخلة .. متصارعة .. لا تعنى إلا ما تراه ..

وضعت يدى على وجهى مخافة أن يسقط منى .. نظرت تحت قدمى .. أبواب حديدية عملاقة لحجرات ضيقة ترفرف عليها رايات حمراء مازالت تقطر دماً .. تراجعت جزعاً ..

الرجل الضخم يخرج من بين الأبواب الحديدية .. يجلس على المقعد الوحيد بمرسمى .. جسداً منتفخاً ..

ساقيه القصيرتين أحداهما على الأخرى .. يده تمسك بسيجارة يتصل دخانها بضوء المصباح .. نظرت إليه .. نظارته السوداء تحتل نصف وجهه الأسمر المليئ بالتجاعيد و الشحوم .. شاربه يحتل الأنف و الفم والذقن.. ومن خلاله تلمع الأسنان الذهبية ..

كان يستند برأسه على الهواء ..

نظرت إليه .. يرفع الكأس إلى شاربه الضخم .. يتجرع وجهه ولا يسعل .. يلعق شاربه بلسان أسود .

أنظر إليه .. ينظر إليّ .. يتقابل الناظران .. يفصل بينهما ذلك الحاجز الزجاجي الذى يضعه عن عمد على عينيه ..

أرتعد يتحرك شاربه .. أرتعد .. يرفع يده بالسيجارة.. أرتعد .. ينفث دخانها فى وجهى .. أرتعد .. أرتعد .. أسقط فى غيبوية رعب .. جسدى يرتعد .. يصفع وجهى بحذائه .. أتكور فى ركن قاص .. يدنو ، بيديه حربتان .. يرشق بإحداهما كتفى الأيمن .. يسقط ريشتى و أقلامى.. يرشق الأخرى فى كتفى الأيسر .. تتناثر لوحاتى تحت قدميه .. يحمل الهلالية ويقهقه خارجاً ..

أفتح عينى بوهن .. أنظر زهرتى ..

هل سقطت منها ؟

أهرع خلفهما .. أجلس وسط قوم ينتظرون .. تنشق الستائر المزركشة عن كل مكان فسيح .. تتصاعد بعض النغمات .. أنظر لأعلى .. بوجهها الهلالى تقف وكأنما أرتدت فستان عرس .. ترفع وجهها إلى السماء .. تبتهل .. وتنظر بوجه إلى الرجل الضخم الذى يحاول حملها .. وتتوجه نحوى بوجه كأنه يستغيث .. أهرع إليها .. أدفع الرجل بقوة .. تتلقانى بوجه غاضب .. أجثو على ركبتى .. تركلنى بقدمها .. تسقط زهرتى .. أشير إليها تعلن لعنتها على رأسى .. وعلى زهرتى .. وعلى الحب ..

أنسحب خارجاً ببطء .. يدنو منها الرجل .. يتحدان فى جسد واحد أسفل وجه هلالى ..

يدوى تصفيق وصفير من القوم .. تنحنى للتحية .. أحاول الأنحناء مثلها .. تسقط الألوان على اللوحة .. يتشكل الوجه الهلالى الأخير .. إسود اللون .

أشبــــاه

الظلام يسيطر على كل شئ .. والبرد ينخر عظامى ..
لمحت على البعد شئ يتحرك أشرت إليه توقف قبالتى
صعدت و جلست بداخله.. توهج عود ثقاب فى يد أحدهم
.. لمحت وجه إمرأة ترتدى السواد .. هزت رأسها وقالت :

– إن إبنى مات بالأمس ..

تبرمت بحديثها فقالت بجدية :

– يبدوا أنك لا تفهم كيف أن أبنى مات جوعاً ..
جوووعاً ..

وجهت حديثى للسائق آمره بالتوقف .. دوت ضحكتها
ساخرة وقالت :

– من الذى يقف .. إننا بدون سائق .

أحاطت بى الدهشة المحاطة بالرعب .. هتفت :

– كيف ؟!

قالت وكأنها تقرر حقيقة لا فرار منها.

– قلت لك أن أبنى مات جوعاً .. و الدنيا مظلمة .. و البرد قارس .. ونحن بدون سائق .. شعرت بدوار و إختناق .. وشلل يسرى فى أعضائى .. تمتمت ..

– و إلى أين المسير ..

قالت وهى تمسح دموعها ..

– إبنى قد مات .. قد مات جوعاً .. ولادنيا مظلمة .. و البرد قارس داخل التابوت الذى سيغرق بنا حتماً .

كنت أستمع إليها وكأنها تغنى .

وتنفتح فضاءات الرؤى .. أجده جالساً كائنا على عرش يبتسم .. بجواره جسد مسجى ، تلتف حوله النائمات ، تمارسن طقوس الأحزان .. وهى تقف على البعد ترسم بيدها الوداع .

فى الخلف طلل باهت ، يرتسم على الرمال بصورة الأمسيات .. يتجه إليه ، يدلف من ممر ضيق .. يجد الولد الشقى الذى يشبهه كثيراً يمرح مع بنت الجيران .. يقبلها ،تعبث يداه بكنوزها ، تخلع سروالها .. يضاجعها بكل براءة ، ويتناقل بين فتايات القرى ليرتوى .

حين رآها أول مرة بهت .. الشعر الكستنائى المنسق بعناية ومتهدل حتى أسفل الظهر .. عينان خضروتان فى وجه أبيض مخضب بالحمار .. أقترب منها على مهل ووقفت الكلمات فى حلقه .. إبتسمت من خجله ومضت .

وقف بين يدى الشيخ .. تتردد عيناه بين الأزمان المنسحقة و الحاضر المحتوم .. قال له :

- يجب أن تهبنى نفسك حتى أعرف مصيرك .

- لا أريد مصيرى .. أريدها هى ..

- من هى .. ؟

- لا أدرى ...!!!

أطلق البخور وتمتم بتعويذاته .. حين تحولت النيران إلى زهرة حمراء .. تراجع الشيخ إلى الوراء وصرخ مذعوراً : أخرج أيها الملعون .. أخرج ..

وظل على صراخه حتى سقط مغشياً عليه .

حك رأسه فى الجدار القديم ، مسح الدمعة المنزلقة من عينيه .. جر قدميه للخروج من طلله ، لم يستطيع .. حمله على كتفه ومضى .. تعثر فى الجسد المسجى ، التفت حوله النائمات .. إشتد صياحهن .. حين كشف عن وجهه .. وآه .. كان جالساً وكأنما على عرش يبتسم .. أما هى فمازالت تقف على ربوة عالية ، ترسم فى الهواء علامات الودا ع للحب و الحياة .

أم أميــــر

السـمـاء مشطوره نصفين .. نصف لا يظللنى ، ونص يحجب عنى الرؤى .. وهى تنظر إلى ما بين النصفين فى ذهول .. و أنا أشعر بإنكسار الروح كلما همت نسمة ولا تقترب من وجهى .

فى البداية كنت فى حفل عرس أجلس وحيدا ، أتجرع النبيذ وأرى الأشباح كأنهم بشر يتراقصون .. حيث أقتربت منى أمرأة تلبس السواد ، وطلبت منى السماح لإبنتها بالرقص .. و أشارت خلفى ، الخمر كانت عميقة ، تلف الرأس بقوة .. أردت أن أضحك ، لكنى توقفت حين لمحت إنكسارى ينعكس من عينيها أشرت بيدى أن إبدأى .. نزعت لبـاس القلق ، وأخـذت تتـثنى وتتلوى حـتى تكسرت.. أغمضت عينى .. وذهبت فى غيبوبة الخمر العتيقة .

دائمـاً أنسى كل شئ إلا ذلك الإنكسـارالذى يعـبث بتكوينى .

فى البدأ كنت جالس على المقهى أبحث بعينى عن إمرأة أدفن بين ثناياها شبقى .. حين لمحتها عدوت خلفها متيقناً أنها عروس الليلة ، وقفت قبالتها أدعوها .. وحين رأيت إنكسارى يرتسم على وجهها ، أعطيتها كل ما فى جيبى وفررت هارباً . لأن كل الأشياء متشابهة فأنا أرفضها جميعاً ، ولأن كل الأشباح على شاكلة واحدة فأنا أمقتها ، و أمقت كل الأشياء .

فى البدأ كان الظلام يعبث بمخيلتى و أناجلس فى المحراب ، حين رأيت شبح إمرأة ينبثق من ثقب فى الجدران .. رفعت يدى بالدعوات فلمست وجهها ، خفت أن ينتفى وضوئى .. تراجعت .. قالت : لا تخف أنا أم أمير التى دعوت الرب أن يهبك إياها .. أنكرتها .. وأنكرت أسمها وصوتها .. أشعلت عود ثقاب لأتبينها فلعنت الأقدار التى حولت أنكسارى إلى إمرأة .

شئ واحد لا يمكن الإنسان أن ينساه ... هو وحده يعلمه .

قررت أن أضاجع إنكسارى .. ذهبت إليها .. قابلتنى المرأة ذات السواد .. سألتها عن أم أمير .. أهالت التراب على نفسها وأشارت إلى نافذة صغيرة و أنينها لا ينقطع .. نظرت من النافذة .. تبينتها بصعوبة أعلى التل مصلوبة على هيكل حجرى ولا تبتسم . !!

خرجت إلى عالم الأشباح محاولاً أن أتذكر ملامح وجهى .

حى .. مـداااد .. وتميـد الأرض من تحت قـدمـيـه ، يميناً ويسـاراً يتمـايلون و يترنحون .. بينما الشيـخ صـابر يختلس نظرة من ثقب فى السمـاء إلى اللا منهى ، ويبتسم .. مدااد ... صيحته المسموعة تزيد من ترنحهم وضربات أقدامـهم .. يا قيـوووم .. يا رفـاعى .. يا شـاذلى .. تربو حـرارة الأجـسـاد ، ترتفع الأوراح وتسـبح فى عـالم المطلق... – أبك يا شـيخ على نفـسك فـغـداً لن تجـد من يبكى عليك ..

يبتسم ويحوقل ثم يقول : إمرأتى حامل .. وستلد غداً.

أتركه معهم حول مائدة اللحم يغمسون فيها رؤوسهم..

كانت إمـرأته منتفـخـة البطن .. تجلس على باب الدار فى سكون .. حين رأتنى هبت واقـفـة .. سـألتنى عنه .. أشـرت إلى مكانه .. نكست رأسـهـا وتمتـمت بكلمـات لم

أتبينها .. هممت أن أمضى .. نادتنى :

- الشيخ صابر يريدك ..

- كيف عرفت ..

- خاطب روحى .. هو يستطيع ..

عدت أدراجى .. كان جالساً على الأرض و القوم يدورون حوله ، يمسكون بدفوف كبيرة ، ذات رنين رتيب ممل .. جلست أمامه .. رأسه الشامخة تثير عجبى .. نظر طويلاً فى عينى وأطلق صيحة .. مدااااد .. أغلق عيناه طويلاً وكان يتنفس حى ـ ها ـ حى ـ ها ... صمت ووضع يداه على ركبتى .. قال بهدوء :

- سأرسلك إلى بطن زوجتى .

- ماذا ..!!!

- أريد أبنى ..

- لكنى .. !!!

- غداً ستكون أبنى .. صدق الوعد .. مدااااد .. يا مخرج الحى من الحى مدااااد .. أغمضت عينى .. سبحت فى مدار بغير نجوم .. وحين لمحت على البعد توهجاً .. ذهبت إليه .. وجدت الشيخ صابر وقد إرتدى

ثياباً من نور و نار .. تبسم وقال :

– حين رفض أن تكون أبنى .. جئتك لأكون أخوك ..

تبسمت وقلت :

– مدد..

ضحك و أشار نحوى كأنه يسخر .

كـان البـاب مـواراً ، وكنت أنتـهـز الفـرصـة للإنطلاق خـارجـه ، ومـاريا .. كـانت تنظر نحـوى بعطف شـديد ، تمسح على شعرى وتتمتم بكلمات مشعوذة .. نظرت إلى دمـوعـهـا ، ثم نظرت إلى الشـيخ الذى ولانا ظهـره وراح ينظر من فرجة الباب .. همست لها :

– ألن يتبدل الحال ؟

شـهقت لما نظر نحـونا ، وتراجـعت للخلف مذعـورة .. تقـدم نحـوى مـتـوعداً ، لطمنى بشـده ، نـهـضت مـتـألماً ، لطمنى ثانية .. دفـعتـه مـاريا بعنف وهرعت نحو البـاب ، عدوت خلفها .. بسير بحذر ، صوت الشيخ يئن خلفنا .. كنت أخـشـى العـتـمـة والممـر الطويل ، أمـسكت يدى .. و أحسست ببرودة كفها ، إنعطفت بى فى حجرة ، ذهبت لفتح النافذة .. أمسكت بيدها أمنعهخا .. نظرت إلى عينى

متسائله .. قلت :

- أخاف أن يدخل منها خوف ..

لسنا فى مأمن على كل حال ..

فتحت النافذة وكأنها تتحدى قدر .. إستدارت وعانقتنى بشدة .. أفقت من قبلتها على صوت الباب يغلق بشدة ، صوت الشيخ يقهقه خلفه ، جريت نحو الباب محاولاً فتحه .. لم أستطيع .. نظرت نحوها لم أجد ها .. هرعت إلى النافذة ، لاشئ غير الظلام .. إلقيت بنفسى .. شئ ما يتكسر تحت جسدى المتهاوى وكأنى أسقط من فوهة ، أرتطم بأرض لزجة ، الظلام يسيطر على كل شئ ، أتحسس المكان بكفى ، كأنما هيكل جسد ملقى بجوارى.. أتكور على نفسى ، أغمض عينى هلعاً .

كنت أرقد على الأرض ، وكانوا يرقدون على سرير بجوارى ، رأيت الشيخ مقبلا على جواده الأسود ، وقبل أن يدهمنا حاولت أن أوقظهم ، لم أجدهم .. أو حين فشلت فى الفرار نظرت نحوه ، إنتصب أمامى و إبتسم ساخراً .. على البعد من خلفه القوم يرقدون بجوار نهر عتيق .. النساء ترتدين السواد ، ترقبنى وتمصمصن

الشفاه ، وبجوارى الهيكل الجسد ملقى على وجهه مطموس المعالم .

– ألقوا بجثته إلى النهر .

أصدر أوامره ، ثم جلس خلف الموقد المشتعل ، ألقى إليه البخور .. من خلف الدخان أخذ يهز رأسه يميناً ويساراً وأنامله تعبث بحبات المسبحة .

ثمة إرتجافة ألمت بالهيكل المسجى بجوارى .. أضاء عيناه المجوفتان ، أشار نحوى بعظام كفيه كأنما يدعونى ، زحفت إلى الخلف .. نظرت إلى القوم الذين نهضوا و إصتفوا صفاً واحداً ، خاشعين ، بيد كل منهم سكين ورمح ، وماريا كانت تقف بينهم كصخرة قدت من جبل ، تنقل ناظريها بين السماء وبينى ، بتثاقل مرير نهضت ، حين أقترب القوم منى فررت إلى غير ما إتجاه ، وحين قتلنى الأرهاق ألقيت نفسى على الرمال فاقد الوعى ، حين أفقت .. كان الشيخ يقف عند رأسى و القوم يصطفون خلفه فى ثلاثة صفوف متساوية ، يتابعون الشيخ فى تكبيراته ورفع اليدين حذو المنكبين ، حاولت النهوض ، إقتربت منى ماريا وبيدها ثياب بيضاء ألقتها على وجهى ،

نظرت إلى جوارى من تحت الثياب وجدت هيكل الجسد ينتفض .. همست له :

– من هؤلاء ..؟

إنطلق صوته كالرعد

– ومن أنت .. ؟

ألقيت الثياب من فوقى ، ووقفت قبالة الشيخ متحدياً ، أغمض عيناه فى خشوع .. أشهر القوم أسلحتهم فى وجهى ، تقدمت ماريا نحوى ، أمسكت بكفى ، نظرت إلى عينيها ، نظرت إلى السماء ، وبهدوء أخذت تصعد بى ، نظرت إلى القوم .. قد خروا سجداً ، لاحقتنى قهقهة الهيكل وصمت الشيخ .

صيـــرورة

حملتها على كتفى ومضيت .. كانت تبكى بشدة .. ولأنى لا أملك ثدياً أقمها أياه ألقمتها إصبعى السبابة .. أغلقت فمها الصغير جداً فضغطت عليه .. بكت بهستيرية نظرت إلى وجهها الصغير .. وجدت لوناً من سواد يغطى نصف وجهها ، ووجدت سبابتى فى عينها اليسرى .. قلت أستبدلها بالأخرى .. وضعتها على رصيف للشارع مرتفع قليلاً ووقفت عن بعد أرقبها .

كانت أمرأة تتأبط ذراع رجل وتضحك بصوت هادئ .. حين أقتربت منها أشارت إليها وضحكت بصوت مرتفع .. أخـــرج الرجل سكيناً وقطع رقـبـتـــهـــا و أعطاها للمرأةفأعتطه قبلة حارة .. وتأبطت ذراعه فى ود ومشيا يقهقهان ..

ذهبت رليها وجدتها لا تجد مكاناً تبكى منه .. حملتها

بدون رأس ومضيت أبحث عن بديلها فى حديقة واسعة وضعتها ووقفت عن بعد أرقبها .. أقترب الولد الذى كان يتبول خلف الشجرة ونظر إليها ثم تلفت حوليه وخلع عنها السروال وواقعها بسرعة ثم نهض ممسكاً بسروالها وجرى مسرعاً دون أن يلتفت خلفه ..

إقتربت منها وكان ظلاماً قد بدا يلقى سواده .. فنزعت جلبابى وألقيته عليها .. ونمت بجوارها .. قبل الألف عام إستيقظت فقد راعتنى الكوابيس التى زارتنى فى نومى القلق .. وجدتها وقد نبتت لها رأس جديدة وجميلة .. هرعت إليها ضممتها إلى صدرى .. فتهشمت .. وتناثرت .. إتسخ حذائى .. تألمت كثيراً ..

وبسرعة كالبرق إختفيت تحت المنضدة .. واضعاً وجهى بين ركبتى وقد أسدلت ياقة معطفى على رأسى فبدوت كقنفد منزوع الأشواك .. فما أن وقفت حتى إندفعت أعدو بكل قوة فاصطدمت بالهواء البارد فاخترقته فأثار زوبعة إحتجاج لم أبال بها حتى وصلت إلى باب خشبى فتحته وجريت إلى نافذة الحجرة وقفزت منها ثم إتخذت طريقى يساراً نحو منحدر ينتهى إلى نفق مظلم نفذت منه بسرعة الضوء ، ورغم أنى لم أعد أرى شيئاً إلا أن ذلك لم يمن مانعاً من أن أزيد سرعتى حتى سقطت فى البئر المهجورة وإستقررت على أرضها الجافة فتناولت الدلو الملقى بجوارى غطيت به رأسى وجلست مقرفصاً غير أن صوت ال.......... ال.......... ال هذا الشئ الذى لا أستطيع التعبير عنه إلا أنه صوت رهيب ..

فـأتخـذت طريقـا إلى السـمـاء ثم إنحـرفت يسـاراً وركلت بقدمي كل الزهور التي كانت في طريقي ولعنت كل النساء اللائي تبسمن يوماً لي .. ثم توقفت وقد خرج لساني ظمئاً ، تلفت خلفي رأيت الصـوت يدق ث م تلفت خلفي الآخـر فرأيت أيضـاً الصوت يدق غير أني لا أستطيع وصف هذا الصوت وهـو يدق ، فجريت إلى حجرتـي وقفت أمام حـاوية كتبي ، أخرجت كل روايات كافكا و ألقيت بها من النافذه.

تجرعت كوباً من الماء .. ونمت .

و إن قتلوك فماذا أنت فاعل .. وإن أبقوا على حياتك
فما جدواها .. لما لا تحاول الفرار .. ؟؟ حين يجتمعون
أمرق من وسطهم كالسهم .. ستشلهم الدهشة حيناً ،
وقبل أن يكونوا قد إنتبهوا تكون قد إستقررت فى مكان
بعيد .. هه .. أتبتسم ساخراً ؟ عندى إذاً فكرة أخرى ..
ما رأيك أن تتحول إلى ماء ، وما أن يفتحوا النافذة حتى
تتبخر وتذهب كسحابة هادئة ولن يظنوا أنك هى .. لا ..
لا تشيح بوجهك .. أعرف أنها فكرة خائبة، لكن كيف
الخلاص .. فكر أنت معى فقد حان موعدهم .. لا تنظرنى
بشرودك الذى يقتلونى ، إسمعنى .. تدلى من النافذة ..
أو .. أو أكسر الباب الحديدى ، تلاشى فى أفق الحجرة ..
أفعل أى شئ .. أخرج منك ، أخرج منى ، فقط لا تدعهم
ينالون منك .. سيهزؤن منك كثيراً ثم يقتلونك .. أو يبقون

عليك كأمثولة .. ألا تخف !! فما بال الخوف يقتلنى أنا .. صوت أقدامهم بجوار الباب .. إسمع .. أنهم يفتحون الباب .. يتقدمون .. يتقدمون .. أنى أرتعد .. أرتعد .. فاسمح لى أن أقتلك أو .. أو أكسر المرآة .

اجتماعهم

حين يجتمعون أسقط من وسطهم ، وأسيل على جبين الدهر كقطرة عرق .. فينثرني خجلاً .. أنزوى فى ركن قاص ، ألملم خيوط الليل و أندس تحت زمهرير الشمس .. أغفو قليلاً ، كثيراً .. لا يهم ما دمت وحيداً .

قد يأتى أحدهم ناشر رايه العصيان ، بيده زجاجة النبيذ المعتق ، وقد يجلس جوارى ولا يدرى بوجودى ، يتجرع خمره .. ويلعن كل القوانين والنظم المبتورة .. وقد يلعن إجتماعاتهم ووحدته المختارة ، وحين يتجرع آخر قطرة خمر ينزل لعنته على نفسه ويختار لحد تحت خيوط الليل المغزولة من شراييني ويموت وحيداً .

وهم .. يجتمعون حول تلك المائدة المزركشة بألوان الجدب ، يحملقون فى تلك الفتاه ذات الأربعة عشر حريفاً ، التى تتراقص من كل شئ فوق المائدة ، وتنقل نظراتها

بين اللحى المتناثرة حول ساقيها ، وهم .. يرتلون تعاويذ الهوى ، ويتجرعون من نشوة الموت .. الموت !!

و الفتاه لها شفتان ناريتان ، ولم تتذوق قبلتى حتى الآن .. وكنت كلما أخترقت إجتماعهم ووقفت قبالتها ، وأسلمت قبلتها النسيم المار بين وجهى ووجهها ، يصدرون صفيراً منذراً وفحيحاً مرعباً ، أمرق بعيداً .. وأتركها تتراقص على حافة نظراتهم .

وكنت قد قررت أن أخترق حواجز الصمت ، وأهبط عليها من عل ، فألقى عليها ردائى وأحتوى شفتيها ثم أمرق بها عبر بوابات السماء حتى نصل إلى نقطة إرتكاز الأكوان ، وأغزل لها ثوباً من مشاعرى ، ثم أعطيها قبلتى .. لكنى خفت أن أجدهم هناك مجتمعون .

وفى لحظة جنون صوبت نحو إجتماعهم أسهماً من عظام صدرى ، وحين أطلقتها علا شخيرهم ، وهزنى إنطفاء الريق فى عينى ، وتحجر شفتيها ، وحين علوت المائدة كانت قد تهاوت تحت أقدامهم ، وكانوا قد بدأوا يفيقون من غفوتهم ، لملمت عظام صدرى ، وهرولت أبحث عن خيوط الليل .. لأندس فى لحد وحيداً .

يفزع فى مكانه .. يجول بعينيه فى أرجاء الحجرة .. يذهب .. يعود .. يضع يده على جبهته .. يضرب الهواء بيديه فى عنف .. ينظر بإمعان إلى المنضدة .. يتكئ عليها .. يتكئ بشـدة .. يرفع رأسـه لأعلى .. يحـاول إطلاق صـرخـة .. يذهب إلى الجـدار .. ينظر إليـه فى أطاره المذهب .. تلتـقى النظرات .. يخـاف يتـراجع .. يرتطم بالكرسى .. يسقط .. ينهض فى عزم .. يذهب إلى الجدار .. يمد يده إلى البرواز الزجاجى .. تصطدم يده بالسطح الأملس .. يرتجف .. يشعر بأنفاس خلفه .. يلتفت .. لا شئ .. يشعر بأنفاسه خلفه .. يستدير .. لا شئ !!

يمد بصره خلف النافذة و الزجاج .. يراه .. الأنفاس مازالت خلفه .. يهرع إليه عبر النافذة .. تصطدم قدماه بشئ ما .. يهوى .. يخترق رأسه الزجاج .. تنشب فى

رقبته مخالب زجاجية .. قطع من الزبد تخرج من رأسه
.. تتناثر على الأرض مختلطة بسائل حار قاتم .. و
الأنفاس ماتزال خلفه !!

مطر .. رعد .. برق .. تصطدم به الأجساد الهاربة و المستظلة بالجدر .. و الآوية لداخل المنازل .. توقف عن السير .. تفحص الأرض الموحلة .

(ماذا لو ألقيت هنا حبة من القمح) .. أعجبته الفكرة .. دلف إلى دكان خباز .. أستقبلته نظرات مختبئة من المطر .. جال بنظره فى المكان .. وجد أحدهم مطلياً بالدقيق .

- أريد حبة من قمح ..

نظر الخباز للجمع .. ضحكوا جميعاً .. تبادلوا الكلمات و الغمزات .. سخروا !!

أسرع فى خطاه .. أخذ يتلمس الأرض الأقل وحله .. أسرع فى الجرى .. وقف أمام بابه لاهثاً دفعه فى عنف .. مد يده على الرف .. سقط الكيس .. تناثر القمح فى

أركان الحجرة .. نظر إليه (لماذا لا أتى بالمطر إلى هنا..؟
لكن إذ أتيت بالمطر فهل يأتي الرعد و البرق)

نظر إلى القمم المتناثر .. توجه إلى النافذة .. نظر إلى
المطر .. ثم نظر إلى هناك حيث الوجوه مادلت هاربة ..

عما قليل سيطلون برؤوسهم الخشبية من النافذة .. خذ الحذر .. أن تسقط فى أحداقهم من فرجة الباب .. سيحولون قيدك بإلسنتهم .. لا تلتفت .. فلن تستطيع الإلتفات .. دع لقدميك الحرية .. سترتفع للفضاء .. ستسابق الرياح وتسبقها .

دارت عينى فى محاجرها .. أدرت له ظهرى .. إنطلقت إلى حيث تقع فى مياه الشاطئ .. كانت تميل حتى تلامس رمال الشاطئ الجافة .. تلتقت الحشرات تعبث بها وتلقيها فى فرح طفولى .. نظرت نحو بعينيها الزجاجتين .. كيف هو اليوم ؟ أومأت بلامبالاه وقلت : أنه يراهم اليوم برؤوس خشبية .. !!

– ألم تقل أنه لا يرى .. ؟ كنت قد إقتربت منها وأنا أؤكد لها كلماتى :

– قلت إنه لا يبصر لكنه يرى .. أكيد يرى

قالت فى إغراء : أخبره أن عندى رؤوساً ذهبية .. أتحب أن تراها ..؟

قلت أنه بحتجه إلى رؤوس نورانيه

– أنت تهذى مثله ..

– لماذا تغضبين ؟

– هل تأتى معى .. ؟

لا أنه بحاجة إلى ..

غابت مع الشمس داخل المياه .. سكن كل شئ .. أظن المياه قد تجمدت و لذا إختفت الأمواج .. الظلام يزحف .. أعود إليه .. يقف بتوتر فى منتصف الدار .. إلتفت نحوى بمجرد فتح الباب .. سألنى : هل رأيتهم عند الشاطئ ..؟

– بل رأيتها .. إن عندها رؤوس ذهبية

– كاذبة .. إن الرؤوس اليوم خشبية

– ماذا ستكون غداً

إنفلتت غضبه .. لطم خديه بكلتا يديه .. سقطت نظارته السوداء ..صرخ وكأنه يبكى .. { الغد لن يأتى .. الغد لن يأتى } لم أره ثائراً من قبل .. حاولت الإقتراب

منه .. إرتفع نشيجه .. بكاؤه مر .. لم أر دموعه يوماً ..

هل ذهب البصر بدموعه أيضاً .. ؟! وضع رأسه .. رأيت عيناه .. حدقتان فارغتان .. لا توجد دموع .. لا توجد حتى العيون المظلمة .. يرفع يداه وهو ينتحب .. يتبين سقوط نظرته .. يصمت عن بكاؤه .. يسترق السمع .. صدرى يعلو وينخفض بشدة .. أشعر كأن أذنه تنظر نحوى .. ينهض .. يسير بجانبه تجاهى .. يصرخ بعنف :

-- منذ متى وأنت تسألنى .. أرنى رأسك ..

جزعت .. تراجعت للخلف .. إلتصقت بالجدار .. يقترب منى أكثر .. قلت متوسلاً :

– لا يا سيدى .. لا أملك غيرها .

-- كيف تملك وأنت ملكى .. أقترب .. ؟

أنكمشت فى الجدار .. أخاف أن يفعل بى كما فعل بزوجته حين خلع رأسها وبدلها برأس أتان حتى يستطيع أن يمتطيها ..

– إقترب .

مد يده تحسس رأسى .. وضعها تحت إبطه .. ضغط عليها .. عنقى يتفتت .. تضيع صرخاتى فى أرجاء

الحجرة .

- إنها ليست رأسك أيها الخنزير .

تقف الكلمات فى حنجرتى وقد كسرت .. أدفعه بقوة .. يندفع إلى الجدار .. يصتدم به .. يسقط صارخاً .. رأسى يتدلى على صدرى .. أحاول دفعه إلى مكانه .. ثقيل .. أهرع إلى الشاطئ .. أناديها .. يحتبس صوتى فى صدرى .. أقف على يدى .. يتدلى رأسى مكانه .. المياه تشملها العتمة .. تخرج هى من المياه .. تتساءل عما حدث .. وما يحدث .. أحاول الكلام .. تسقط الحروف و الكلمات من فمى بال ضابط .. تجذب رأسى برفق .. تؤلمنى .. تنزلق دمعه داخل رأسى .. تحتضن رأسى .. تقبله .. تنزلق به داخل المياه .. أتشبث برمال الشاطئ .. تسحب رأسى من جسدى .. تتهوى يدى .. يرقى جسدى على الرمال .. أبحث عن رأسى .. مكانه خواء هائل .. تهزنى النبضات .. أنهض .. كأن قدمى لا تحملان شيئاً .. أنطلق بلا هدى .. أرتفع عن رمال الشاطئ أسابق الريح .. أسبقها إلى ما فوق السحاب .

ولما ضاقت بيا الدنيا جيتك .. كنت فاكرك ها تخدينى
بالأحضان وتبوسينى .. كنت فاكرك ها ترجعيلى ذكريلتى
بتاعة زمان .. أيام ما كنت عيل وبلعب فى حواريكى ..
لكن مالقتكيش .. ولقيت واد صغير واقف عند بابك ..
جلابيته وقطعة وقصيرة عند ركبته ، وماسك بأيده عصايه
بينش بيها على وش ميه .. مش عارف ليه .. يمكن كان
عاوز يرسم خريطة للعالم الجديد .. أو كان بيكتب أحلامنا
الخيبة .. و سألته عليكى .. بص لى بعينه المدمعه وقال
إنك مش عايزه حد ، وقال كمان إنك كنت ناويه تموتى .
ومعرفتيشى .. وعشان كده نويتى تموتينا ، وحطيتى السم
فى مية النيل .. ساعتها سألت نفسى .. الواد ده كان
بيدور على السم بعصايته .. ولا كان بيدوبه فى الميه .. ؟!
لعنت كل حاجة ، وشلت جزمتى وضربت بيها السما

فوقعت على راسى ، ورحت أدور عليكى علشان أقولك أى حاجة ، وما لقتكيش ، وما عرفتش أقول إيه ، ولمين .. يمكن لإنك فى الأصل ما علمتينيش الكلام .. وكنت دايما تعلمينى السكات ، وتضربينى بإيدك على فمى المليان و أغرق فى بحر صمتك .. وأبص لأمانيكى فى الهوا مبعتره.. ألاقى حزنك ما حدش شايله إلا أنا .. !! ولأمتى ، ولحد فين ؟ .. حاجات كتيرة مسكونه جوايا .. خايف أقولها تغضبى ، وكان نفسى أقولك تعالى نغنى'غنوة أمل ونخدع نفسنا .. أو حتى نضحك ونداري دمعنا .. وكان نفسى فى يوم نسرق بكره من أيامهم ونزوق بيه حلمنا .. أسمحي لى بقى أتكلم .. إسمحى أقول أن قلبى شايل وطن بيدور على أرضه ، وتنشال جبال الهم وتندك .. يخرج من تحتها قلبى المقتول .. فى شرايينه سهام الصهاينة ، وف وريده الرح العربى .. وأمد لك إيدى .. تعالى نطير وندب فى المسافات .. لساك بتقولى لا .. ؟ لساك فاكره إن بكره جاى ؟!

يا حلوه يا اللى الهوا دلع راسك – يا ترى الوطن جه فى يوم وباسك ، ولا عندك أرض تطرح لك كرامه وتخاف

على ناسك .. ؟

صدقينيمرة واحده لما أقول لك إن بكرة سرقوه ، وإمبارح قتلوه ، و النهاردة لغوه وعلقوا على بابك حدوت حصان تمنع عنك الخير وشر العين .

وجه وقت الختام وما كنتش أحب إن الختام يكون صرخة فزع فى قلب يائس .. كنت بحلم إن الختام يكون بوسه على جبينك وإنت زهرة بتضحكى وبترشى عطورك على وشى .. خلاص .. إنتى كده رايحه للموت .. للإنتحار .. بس ماكنش لازم تموتى .. وتقتلى الأمل اللى علشانه ولدتينى .. لكن ..... إيه ......

لساك بتعرضى عن كلامى وش عايزه تسمعينى ، حتى كلمة وداع!! طب قولى مع السلامة ، أو مع الموت .. ما أنت أصل حضارتك الموت .. مره واحده نفسى أسمع منك كلمة .... آه .. نسيت إن لسانك حطتيه فى تابوت .

القصـــص